

الحرية الفكرية في مواجهة ظاهرة التطرف

أ.د. عبد المجيد عمر النجار (x)

تهدد:

خطورة الظاهرة وتعقدها فإننا لا نرى الأمر يسير في هذا الاتجاه الى حد الآن، فأكثر ما تتناول به ظاهرة التطرف من البحث هو مجرد الاستنكار والشجب، أو في احسن الاحوال التشخيص وبيان سوء الآثار، اما الدرس العميق للأسباب التي تولد التطرف، والتوصيف للعلاج الحقيقي الذي يبرئ منه، فإنه يكاد يكون غائباً في درس هذه الظاهرة، أو هو يمسه احياناً مساً خفيفاً لا يغنى شيئاً في مواجهة هذا التحدي الذي يواجه المجتمع بأكمله، ويُنذر بآثار بالغة السوء على مستقبل استقراره ونموه.

وفيما نحسب فإنه قد آن الأوان، إن لم يكن هذا الأوان قد فات، لأن تدرس ظاهرة التطرف في المجتمع الاسلامي، ما كان منها عاماً وما كان دينياً بصفة خاصة، دراسة علمية تتجه نحو البحث عن الأسباب وتوصيف العلاج، وأن تتصافر في ذلك الدرس آليات البحث النفسية والاجتماعية والدينية للوصول إلي تشخيص سليم يبني عليه علاج ناجع، وذلك بدل الاسترسال في المعالجات الأمنية التي لاتزيده إلا استئراء وانتشاراً، كما هو الحال السائد اليوم في أكثرما يقع من تعامل مع هذه الظاهرة.

بالرغم من التشخيص غير الموضوعي من قبل جهات عدة في العالم لظاهرة التطرف في النطاق الاسلامي، وبالرغم من التوظيف غير النزيه لهذه الظاهرة من قبل تلك الجهات ، فإنها في حقيقتها تعد ظاهرة ذات مصداق في الواقع، وذات تأثير بالغ في الاحداث على المستوى المحلي ضمن البلاد التي توجد فيها، وعلى المستوى العالمي أيضاً. وبدل ان يترك امرها لتبحث من قبل الآخرين، فتشخص تشخيصاً غير موضوعي، وتوظف توظيفاً غير نزيه، فإنه من الواجب على المسلمين انفسهم ان يولوا هذه القضية العناية الكافية بالبحث فيها، تشخيصاً وبيان أسباب وعلاجاً، فهم أقدر على ذلك باعتبار أنها ظاهرة نابتة فيهم، وهم أخلص في بحثها باعتبار ان آثارها وتداعياتها تمتد اليهم قبل غيرهم.

وإذ هذه الظاهرة تعد ظاهرة في غاية التعقيد، بما هي ملتقى للعوامل المتشابكة، اجتماعية ودينية وسياسية وغيرها فإن البحث فيها ينبغي أن يأخذ حقه من الجدية العلمية، وأن يبلغ مداه من الجهد المبذول، وذلك من أجل الوصول الى تشخيص صحيح وإلى علاج سديد. ومما يؤسف منه أننا بالرغم من

العوامل تأثيراً في إنتاج التطرف كما هو متمثل في الظاهرة الراهنة في البلاد الإسلامية، وهو الاستبداد الفكري، وهو عامل ذو أثر داخلي يتشكل من ذات التكوين الفكري في البناء الثقافي للفرد الذي يسلط عليه الاستبداد، فيدفع به الى التطرف، وليصبح ذلك ظاهرة عامة حينما يشمل هذا الاستبداد شرائح واسعة من الناس بطريق التربية والتعليم والتوجيه، وبما ان هذا العامل يضرب في ذات التكوين الثقافي فإنه يمثل خطورة بالغة، ويحتاج علاجه الى جهود مضاعفة على تطاول من الزمن، ولا يكون هذا العلاج إلا بتحرير الفرد وتحرير جماعة الافراد تحريراً فكرياً من ربة ما يسلط عليهم من استبداد . وذلك ما نحاول بيانه في المقاربة التالية.

الاستبداد والتطرف؛

قد يكون التطرف الديني مفهوماً تختلف فيه الانظار بين موسّع في مدلوله ومضيق فيه، حتى ينتهي الأمر ببعضهم الى اعتبار الالتزام الديني ذاته ضرباً من ضروب التطرف، وينتهي الامر ببعضهم الآخر الى اعتبار التطرف كما يقدره مخالفوهم هو الدين الصحيح، وأن ما عداه ليس بدين. وكذلك فإن العلاقة بين التطرف والاستبداد قد لا تكون بيّنة بذاتها بصفة مباشرة، إذ قد يقال ما هي الصلة مثلاً بين استبداد سياسي يمارسه الحكام على الشعوب وبين الموقف الديني للأفراد، فهما وسلوكاً، حتى يكون هذا الموقف متطرفاً أو غير متطرف؟ أو ما هي الصلة بين منهج علمي تربوي لتعليم الدين وبين التطرف الذي يكون

ولعل المتأمل بعمق في ظاهرة التطرف، كما هي متفشية في البلاد الإسلامية، والمستأنس في فهم تلك بأحداث التاريخ في الظواهر المشابهة ينتهي إلي أنّ التطرف ظاهرة معقدة غاية التعقيد، مركبة في أسبابها، متشابكة في جذورها التي تضرب في أعماق النفوس، وتتشكل في ثنايا التفاعل الاجتماعي، ولكن المتفحص الأريب في متشابك تلك الأسباب والجذور يلمح أن واحداً منها هو الأغلظ والأبين من بينها، وهو بالتالي العامل الأكبر أثراً في انتاجها، المغذى الأقوى لديمومتها وتوسعها واستشرائها، وذلك هو عامل الاستبداد، متمثلاً في فروع مختلفة، فكرية وسياسية واقتصادية وغيرها.

وحينما يتم العثور على هذا العامل الأكبر المولد للتطرف، ويقع التأكد منه عاملاً حقيقياً فاعلاً بتوصيفه توصيفاً صحيحاً، وتنسيبه الى معموله تنسيباً يقينياً فإن مرحلة مهمة من مراحل البحث في الظاهرة تكون قد أنجزت لتبنى عليها المرحلة اللاحقة، وهي مرحلة العلاج، ولا يكون علاج الاستبداد لقطعة من انتاج التطرف إلا بنقيضه الذي هو الحرية، وهي ما تحسب أنها من انجع ما يمكن ان تعالج به ظاهرة التطرف بصفة عامة، والتطرف الديني بصفة خاصة، وذلك ما تتضافر عليه شهادة المنطق المجرد مع شهادة التاريخ مع شهادة الوقائع الراهنة لينتج من ذلك ما يشبه اليقين في هذا الشأن.

وإذا كان للاستبداد المفضى الى التطرف فروع متعددة، فإن واحداً منها يبدو أنه من أكبر

عليه من يتخرج على ذلك المنهج حتى يُقال إن هذا أفضى الى ذاك؟ ولذلك فإنه يجدر التحديد فى كل من هذين الامرين حتى يكون البيان اللاحق جارياً على صعيد واضح فى بسط الاسباب وفى توصيف العلاج.

أ- **التطرف والتطرف الديني:**

يعني التطرف فى اللغة: انتحاء اطراف الاشياء، مكاناً أو زماناً أو اجساماً، ميلاً عن اواسطها وقد جاء فى حديث عذاب القبر أن أحد اصحاب القبرين اللذين مرّ بهما الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبر بأنهما يعذبان انما يعذب أحدهما لأنه (كان لا يتطرف من البول)^(١) أي لا يبتعد الى اطراف المكان الذى يكون فيه من أجل التبول.

ومجازة لهذا المعنى اللغوى ربما أصبح التطرف يطلق على الذهاب فى عالم الافكار الى ما فيه مبالغة غير معهودة عند الناس، فيكون القائل بها والمتبنى اياها كأنما قد ذهب الى اقصى ما يمكن ان يحتمله موضوعها من المعاني، فيوصف إذن بأنه متطرف على هذا المعنى. وقد أصبح مصطلح التطرف الدينى يطلق على هذا المعنى حينما يتعلق الامر بالمعتقدات او بالممارسات الدينية، فيوصف المتدين بهذا الوصف إذا ما ذهب فى معتقداته او فى مسالكه الى اقصاها فى اتجاه المغالاة والتشدد.

وقد ورد فى القرآن والسنة توصيف لهذه الحالة التى يكون عليها المتدين، ولكن لم يرد تعبير عنها بالتطرف، وانما استعمل لفظ آخر هو (الغلو فى الدين) وذلك كما فى قوله

تعالى: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا- وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضِلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا اكْتَسَبْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) (النساء: ١٧-١٩) ، وهو مأخوذ من الغلو فى الأمر بمعنى تجاوز الحد المألوف فيه، فيكون الغلو فى الدين معناه (أن يظهر المتدين ما يفوت الحد الذى حدده الله فى الدين)^(٢). وقد عبر الحديث الشريف عن ذات المعنى بالتنطع، وهو ما جاء فى قوله صلى الله عليه وسلم فى من غالى فى الدين: (هلك المتنطعون)^(٣). وهم المبالغون فى الدين، المبالغون، المتشددون فيه^(٤).

وبناء على ذلك يمكن ان نستعير المدلول القرأنى والحديثى كما جاء دالاً عليه لفظ الغلو والتنطع لنجعله مدلولاً للتطرف، فنقول: إن التطرف الدينى يطلق على ما يعتقده انسان ما من تصورات او ما يمارسه من اعمال على أنها دين يتدين به، متجاوزاً ما حدده الدين من حدود، أو متحريراً فيها ما هو الأقسى والاشد إذا كانت الدلالات تحتل من المعاني الايسر والاسهل فكل من تدىن بما يتجاوز التحديدات الدينية للمعتقدات والاعمال السلوكية فهو متطرف، وكل من تحري من الدين ما هو الاشد

هؤلاء الآخرين أو على الأقل الاعتقاد بضلالهم وفسقهم . ومهما يكن من ان ذلك قد يبقى حبس النفس إلا أنه تكون له آثار ضارة، وذلك لأن المتطرف فى هذه الدرجة سوف تكون معاملته لسائر المجتمع ممن هم على غير دينه معاملة سيئة سواء من حيث التواصل النفسى أو من حيث التعامل السلوكي، وقد يحدث ذلك منه عن وعي أو عن غير وعي.

والدرجة الثالثة من التطرف هي تلك التي لا يكتفى فيها المتطرف بأن يحبس قناعاته فى نفسه، وإنما يكون منافحاً عنها، وداعياً لها، ومبشراً بها على اساس ان دينه هو الحق، وتدين غيره المخالف له هو الباطل كفراً أو ضلالاً ، فيصبح إذن تطرفه مذهباً دعوياً، تسخر الوسائل لنشره، وتتضافر الجهود للدوة اليه ، وقد تنشأ الفرق والجماعات لنصرته على أنه هو الحق وغيره هو الباطل . وفى هذه المرحلة تشتد الآثار السلبية للتطرف، إذ يصبح مفضياً الى الفتنة الاجتماعية، والى الفرقة بين المسلمين.

وقد يصل التطرف الى مرحلة رابعة هي أخطر المراحل جميعاً، وذلك حينما يعمد المتطرف الى فرض دينه الذى يعتقد أنه الحق على الناس بالعنف ليكون لهم ديناً، أو ينتهى به تطرفه الى تصرفات عنيفة فى غير مجال فرضه على الناس، كأن يكون نكاية أو انتقاماً أو تطبيقاً لأحكام دينية فى غير ما هو مخول فيه جهاداً أو إقامة حدود او ما شابه ذلك. وربما اعطى التطرف فى هذه المرحلة اسماً آخر هو الارهاب. ولا شك ان التطرف فى مرحلته هذه

وجعله هو الدين فى حق نفسه بله فى حق غيره فهو متطرف أيضاً.

والتطرف الدينى فى نطاق هذا المعنى الذى حددناه قد يكون درجات متفاوتة بعضها اشد من بعض. وأخف الدرجات هي ان يقف التدين الذى يتدين به المتطرف عند حد كونه فهماً خاصاً للدين اقتنع هو به، ولكنه لا يحجر على غيره ان يفهم الدين فهماً آخر فيتدين به، ويعنره فى فهمه وتدينه، وذلك على قاعدة ان تدينه هو صواب يحتمل الخطأ وتدين غيره المخالف لتدينه خطأ يحتمل الصواب، فهذا التطرف تكون آثاره السلبية محدودة تكاد لا تتجاوز ما يسببه الفهم الخاطى للدين من عطالة فى التفاعل الاجتماعى للفرد المتطرف بهذا المعنى، إذ كل خلل فى التدين الفردى ينشأ عنه خلل فى العطاء الاجتماعى للمتدين، وهو ما اشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم: (إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولا تبغض الى نفسك عبادة الله، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى)^(٥).

وقد ينتقل التطرف الى درجة أعلى، وهي ان يكون المتطرف متشبهاً بتدينه على أنه هو التدين الحق الذى لا يحتمل الخطأ، وأن تدين غيره هو الباطل الذى لا يحتمل الصواب، ولكن مع ذلك يبقى المتطرف مكتفياً فى يقينه بذلك فى حدود ذاته غير داع إليه أو مبشر به. وهذه الدرجة أخطر من الأولى لأنها تهيب فى نفس المتطرف للاعتقاد بأن الدين الحق هو ما هو عليه، وأن ما عليه الآخرون ليس بدين، وهذا ما قد ينتهى الى الاعتقاد بكفران

أو جماعية، بممارسة حق من الحقوق دون جهات أخرى لها في ذلك الحق نصيب. فإذا كان ذلك الانفراد متعلقاً بحق مادي مثل حق الثروة الوطنية سمي الانفراد به استبداداً اقتصادياً، وإذا كان متعلقاً بحق التفكير الحر سمي استبداداً فكرياً، وهكذا الامر في كل الحقوق المادية والمعنوية إذا ما وقع الانفراد بها دون من له نصيب منها، ومن ذلك ما روى عن علي، رضى الله عنه، من أنه قال فيما يرى من حق له في الخلافة: (كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً فاستبددتم علينا)^(١)، أي انفردتم بالخلافة بما لنا فيها من حق.

وللاستبداد بهذا المعنى بالتطرف الدينى صلة وطيدة ، وهي صلة قد تتشكل خيوطها من تداعيات نفسية، أو من تأويلات دينية، أو من تأثيرات ثقافية فكرية، ولكنها تنتهى الى نفس المصّب لتقضى الى انتاج التطرف على درجات مختلفة، وفي كل الاحوال يتبين من جميع هذه الخيوط ان التطرف الدينى ليس إلا وليداً للاستبداد من خلال هذه القنوات وربما شاركتها في تلك قنوات اخرى غيرها، ولكنها تبقى هي الأبين في سببيتها له، وفي استيلاده هو منها، وهو الامر الجدير بالشرح والبيان.

-التفيس النفسى:

إنّ استبداد طرف من الاطراف بحق من الحقوق دون من له فيه نصيب منه من شأنه أن يحدث في نفس المستبد عليه شعوراً بالقهر والمظلومية، وذلك الشعور يولد فيه استعداداً للمقاومة من أجل رفع الاستبداد عنه ليظفر بحقه. وكثيراً ما يكون الواقع حائلاً دون ان

يصبح شاملاً في تأثيره السيئ على المجتمع بأكمله، فتنة دموية، لحرمة الأنفس والدماء والأموال، واضطراباً يعطل مسيرة المجتمع في التعمير، بل قد تصيب هذه الآثار الدين نفسه، وذلك حينما ترى هذه التصرفات مجترحة بإسم الدين، فيقع في كثير من النفوس ان ديناً هذه حقيقته ليس جديراً بأن يكون ديناً يتبع، فيتشكك فيه المتشككون ويرفضه الرافضون ، وتنكفى الدعوة إليه في انتكاس عظيم.

وليست هذه المراحل من التطرف بمنعزلة عن بعضها، بل هي على العكس من ذلك منفتح بعضها على بعض، وكثيراً ما تنتهى الأولى منها الى الرابعة، إذ هي ليست إلا درجات في عمق الايمان بما يحمله المتطرف من تصور للتدين، فكلما تعمق ذلك الايمان في نفسه انتقل التطرف من درجة الى درجة، وهل العنف الارهابى باسم الدين إلا ناشئاً من فهم تجاوز ما حده الدين نفسه من حدود، ثم تطور الى اعتقاد ان ذلك الفهم هو الحق وغيره هو الباطل ، ثم تطور الى التبشير به والدعوة إليه، حتى انتهى الى نصرته بالعنف، وهكذا تنتهى في كثير من الاحيان الدرجة الأولى من التطرف الى الدرجة الرابعة منه، وذلك بحسب ما يقوى من العوامل المسببة في ذلك والمدعمة له، كما سنبينه لاحقاً.

ب- سببية الاستبداد في التطرف:

الاستبداد في اللغة من استبد إذا انفرد به دون غيره، سواء كان ذلك الامر مادياً أو معنوياً . وفي الاصطلاح السائر اليوم يمكن ان يقال: ان الاستبداد هو انفراد جهة ما، فردية

حقداً وغيظاً على الظلمة المستبدين، فأصبحوا لا يلوون على شيء إلا على الانتقام بأي وسيلة ادت إليه، سواء كانت افكاراً تكفيرية تضليلية لمن يمارس الاستبداد، أو كانت تصرفات عملية بالعنف المسلح والتقتيل والتدمير واغتصاب الاموال، وأصبح ذلك عند كل من أولئك وهؤلاء فهماً دينياً تمارس على اساسه الدعوة الى الاسلام عند النوع الأول، ويمارس على اساسه العنف عند النوع الثاني.

ولعل كثيراً مما يقع اليوم من اعمال عنف تتبناها بعض الجماعات الاسلامية راجع الى هذا السبب النفسى الذى ولده الاستبداد السياسى وملاحيقه من التعسف والظلم والتسجين والتعذيب، فبعض هذه الجماعات تولدت عندها الافكار التكفيرية الانتقامية فى سجون الاستبداد، إذ قد دخلت الى تلك السجون وهى سوية التفكير مستقيمة فى فهمها الدينى، ولكنها بما اكتوت به فيه من تنكيل اعوجت مفاهيمها باحتقانات نفسية شديدة، وتبنت من الافكر ما هو فى الاقصى من التطرف والغلو مثل التكفير للحكام ولكل من يتخاذل عن مقاومتهم، والهجرة من دائرة المجتمع الكافر الى خلايا اجتماعية تكون على الطهر والنقاوة، فلما سنحت فرصة الخروج من السجن انطلق المنتقمون الى هذه الجماعات فى عاصفة من القتل لا للحكام فحسب بل حتى لسياح جاؤوا من مجتمعات قصية مستأمنين للسياحة فى الارض، وقد صرح احدهم اثر مجزرة اجترحها مع رفاقه فى مدينة الاقصر بمصر ذهب ضحيتها عشرات من السياح بأنه

يثمر ذلك الاستعداد ثماراً واقعية بالتمكن من رد الحقوق بالفعل، ولكنه مع ذلك يبقى استعداداً قائماً فى النفس غير انه ينفس عن ذاته فى اتجاه آخر، وهو اتجاه الاسقاطات والامال، فتأتى حينئذ الافكار التى تعوض الحصول الناجز للحقوق المستبد بها بأمال فى الحصول عليها بما هو أجل، وتصبغ تلك الافكار بصبغة دينية فتصبح ديناً يتدين به المظلومون فى حقوقهم المستبد عليهم فيها، وهو ضرب من ضروب التطرف الدينى.

ولو تأملنا حال كثير من الجماعات الدينية الموصوفة بالتطرف فى القديم والحديث لوجدنا فيها العديد من النماذج التى ينطبق عليها هذا الحال. ومنها على سبيل المثال تلك الفرق التى سلط عليها الاستبداد السياسى بحرمانها من حقوقها فى المشاركة السياسية، فنفسست عن ذاتها بتصور عهد مقبل يعود فيه الحكم إليها على يد رجل منها يزيل الاستبداد ويقيم العدل، واصبحت افكار من مثل فكرة الغيبة والرجعة وملء الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً ديناً تتدين به.

ومنها أيضاً فرق حديثة استقر فى تصورها، تحت وطأة الاستبداد السياسى، ان السياسة وما يتعلق بها ليست من مشمولات التدين، فأسقطتها من حسابها، وجعلت الخوض فيها خوضاً فيما لا يعنى، وتجاوزت إذن ما حده الدين من شمول تكون فيه جميع مظاهر الحياة مناصاً لأحكام الدين، بما فيها الحياة السياسية وثمة فرق أخرى اتجهت اتجاهاً معاكساً، إذ هى تحت وطأة الظلم والقهر امتلأت نفوس اتباعها

فعل ما فعل لأنه، نتيجة شعور جارف بالقهر، أصبحت تحدوه رغبة جامحة فى القتل لكل ما له بالحكم علاقة من قريب أو من بعيد. وأنه لم يعد يشعر بأنه يمكن ان يخسر شيئاً.

إنه إذن الاستبداد ولد فى النفوس التطرف الى أقصى درجاته.

- التآويل الديني؛

باعتبار أن الاسلام يتصف بالشمول، أصبح فيه كل تصرف إنساني مشمولاً بالحكم الديني، ومن ثمة تكون مقاومة الاستبداد أمراً واجباً بالدين، كما يكون الدفاع عن الحقوق لاسترجاعها أمراً واجباً بالدين أيضاً ومن تقاعس عن ذلك فقد تقاعس عن اقامة الدين، فتصبح إذن مقاومة أي استبداد مهما يكن لونه أمراً واجباً، وهذا المعنى حينما تتشربه نفوس المؤمنين فإنها تنطلق به الى ساحة الانجاز العلمى، وإذا ما احتدم الصراع بين الحق، ممثلاً فى المطالبة بالحق ومقاومة الظلم، وبين الاستبداد وممارسيه، فإن شهوة الغلبة تصبح صانعة لتأويل تلتمس مبررات من التصورات ومن الاعمال تتجاوز ما حدده الدين ولكن تسبغ عليها صيغة دينية، فينشأ إذن التطرف فى خضم الصراع بين الحق والباطل بالتأويل المتعسف.

ولهذا المعنى أمثلة كثيرة أيضاً، من الماضى والحاضر. ففرق الخوارج لما قدروا ان الحكم الاسلامي آل الى الاستبداد ووطنوا النفس على مقاومة ذلك الاستبداد وفى خضم صراهم معه احدثوا الاحاديث من التصورات المفكرة لمن سواهم من المسلمين، ومن الاعمال التى

اصبحوا يستحلون فيها الدماء غيلة ظانين ان ذلك يعتبر منهم تديناً وهو فى حقيقته تطرف فى الدين، وفى العصر الحديث قامت حركات كثيرة تقاوم الاستبداد السياسي برسم الواجب الديني، واستحدثت فى سبيل ذلك من اساليب المقاومة ما هو من الوسائل المتجاوزة لتحديد الدين مفتين بأنها من الدين، على اعتبار أنها تفضى الى تحقيق مقصد ديني هو مقاومة الاستبداد وبسط الحرية والعدل، وذلك مثل قتل الابرياء وإتلاف الأموال العامة نكاية فى الانظمة الحاكمة المستبدة وسعياً فى اسقاطها من موقع الحكم، فسقطت إذن فى التطرف حتى درجة الارهاب بسبب الاستبداد عن طريق تأويلات دينية متطرفة.

وربما ادى الاستبداد السياسى الى ضرب آخر من التطرف هو التطرف المستكين الذى لا ينزع الى العنف ولكنه ينزع الى الاستقالة من الحياة العامة، وذلك بفعل تصورات تستقر فى الازهان على أنها دين، وهى فى الحقيقة تتجاوز تحديدات الدين، فالاستبداد قد تشتد سطوته على نفوس الافراد والجماعات، وتفشل مقاومته للاطاحة به المرة تلو المرة، وقد تحدث من تلك المقاومة الفاشلة فن تنال المجتمع كله بالبأس، فيقر إذن فى بعض النفوس ان هذا الاستبداد قدر مقدور لا فكاك منه، وأنه فى بأسه اهن من بأس الفتنة، وينتهى الامر بضرب من التشريع له، والتشريع لمنع مقاومته، ويتبع ذلك تشريع للسير فى ركابه وممالاته ومد يد المعونة له، وقد يتجه التشريع للانكفاء عن الحياة العامة الى حياة خاصة تنشد الخلاص

يصدر عن الحكام باعتباره صابراً عن ولي الامر، ويشرعون لوجوب طاعته في ذلك، وحرمة معارضته بله مقاومته، أو أولئك الذين انسحبوا من هذا الميدان بالكلية، وسحبوا الدين ان يكون له حكم فيه، وجعلوا ذلك من حيث المرأ فيما لا يعنيه، فكل من هؤلاء وأولئك إنما تعود تصوراتهم ومواقفهم هذه الى سبب الاستبداد الغالب على النفوس، الميئس من الاصلاح، ولو كان الامر يجرى على حرية وشورى ما كان لهذه التصورات والمواقف أن تظهر، وهى فى كل الاحوال تعد ضرباً من التطرف، وإن كان تطرفاً يقف عند حد الدرجة الثالثة من الدرجات التى شرحناها آنفاً ولا يتحداها الى الرابعة.

- الانفلاق الفكري؛

من الاستبداد ما هو فكري، وهو المتمثل فى ان يمنع الانسان شكل أو آخر من اشكال المنع من التفكير الحر، وأن تملى عليه وجهة نظر واحدة دون ان تتاح له الفرصة فى ان يطلع على وجهة نظر اخرى بله ان تتاح له الفرصة ليعبر عن وجهة من تلقاء ذاته، فهو إذن حجب على التفكير المنفتح الحر، وإلزام بالوجهة الواحدة والرأى الواحد، ولعل اكثر الشعارات تعبيراً عن هذا اللون من الاستبداد هو ما حكاه القرآن الكريم عن فرعون مستبد بالرائى على قومه فى قوله تعالى: (يَا قَوْمُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ) (غافر: ٢٩).

وللاستبداد الفكرى مظاهر متعددة، منها التزام

الفردى بضروب من التريض الروحي الذى يتجاوز توجيهات الدين وتعاليمه.

وإخال بعض الفرق الاسلامية الغالية فى التصوف إلاناشئة من هذا السبب، انما يؤست من سقوط الاستبداد نات بنفسها عن الحياة العامة للناس، وانكفات تغوص فى حياة روحية تجاوزت فيها رسوم الدين من مثل افكار الحلول والاتحاد وما شابهها. ويشبه ذلك ايضاً ما نشأ من افكار عند بعض فقهاء السياسة تشريع للاستبداد نفسه بالتشريع للاستيلاء على الحكم بغلبة الشوكة العسكرية ابتداءً واستمراراً وذلك على نحو ما قرره امام الحرمين فى قوله (إذا استظهر (الساعي الى الامامة) بالقوة، وتصدى للامامة كان إماماً حقاً، وهو فى حكم العاقد والمعقود له) (٩) وإذا كان هذا التقرير متعلقاً بالامام المتوفرة فيه شروط الامامة فإن فيه فيما نقدر تجاوزاً لما حدد فى الدين من ان الامام لا ينتصب إلا بإرادة الامة وتزكيتها وبيعته العامة. ولعل هذا المعنى هو الذى أشار إليه الكواكبي بقوله: (والناظر المدقق فى تاريخ الاسلام يجد للمستبدين من الخلفاء والملوك الاولين، وبعض العلماء الاعاجم وبعض مقلديهم من العرب المتأخرين أقوالاً افتروها على الله ورسوله تضليلاً للأمة عن سبيل الحكمة يريدون بها اطفاء نور العلم وإطفاء نور الحكمة) (٨).

ولعل بعض الجماعات الاسلامية فى العصر الحاضر، وقعت بسبب الاستبداد، فى هذا التطرف السلبي، وذلك مثل أولئك الذين يبررون تبريراً شرعياً كل تصرف استبدادى

المعلمين في تعليمهم اسلوب التلقين الخالص، وذلك حينما تحشى الرؤوس بكم من المعلومات على سبيل الحفظ، وتصادر كل فرصة للتفكير فيما يقع تلقينه للتحليل والتمحيص والنقد والمقارنة. ومنها ان يقدم للمتعلم الرأي الواحد في المسائل محل التعليم، وتحجب عنه كل الآراء الاخرى في ذات المسائل. ومنها ان يقدم الرأي الواحد على أنه هو الحق الذي لا حق غيره، وأن كل ما سواه هو الباطل الذي لا يحتمل صواباً، وذلك ليس عن تفحص ودرس ونقد، وإنما عن الغاء ورفض ومصادرة بصفة مبدئية. وكل هذه الانواع تلتقى عند الحجر على العقل ان يكون له نظر حر، وتقييده بالوجهة الواحدة التي ترسم له سلفاً والحجر عليه ان يتجاوز بالنظر ما هو مرسوم له وموجه إليه. وكلها تندرج تحت الاستبداد الفكري، وهي تفضي الى التطرف بمسالك متعددة.

فالاستبداد الفكرى من شأنه ان يربى الفكر على الرأي الواحد، وهو الرأي الذى وقع تلقينه إياه، والذى علم أنه هو الرأي الحق، وغيره هو الباطل، وحينئذ فإنه سيقف موقف الرفض لكل رأي مخالف يرد عليه، دون ان تكون له القدرة على الحوار فيه، أو مقارنته بغيره، أو تمحيصه ونقده، ودون ان تكون له القدرة أيضاً على مراجعة ما تقلده من رأي، وعلى تصحيح ما عسى ان يكون قد داخله من نقص أو خطأ، بل سيكون متشبثاً به كما ورد عليه، وكما أريه ولقنه.

والآراء، حتى ما كان منها حكماً دينياً، ليست مبنية على اليقين المطلق إلا ما كان مندرجاً

ضمن ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وهى الأقل من بين احكام الدين، اما اكثر الاحكام فهى ظنية حاصلة بالاجتهاد، وهى لذلك قابلة لأن يداخلها الخطأ فى الفهم، وذلك بالإضافة الى ان الحكم الواحد قد يكون صحيحاً فى ظرف من الظروف، ثم يقتضى ظرف آخر لاحق عليه ان يقع عليه تغيير فيحل محله حكم آخر، بناء على قاعدة ان الاحكام تتغير بتغير الاحوال، كما شرحه ابن القيم^(٩).

وحينما يبقى الفكر متشبثاً بالرأي الذى اشربه بالاستبداد عليه، رافضاً لكل ما سواه، فإن تشبثه هذا قد يفضي به الى التشبث بما هو خطأ من حيث الاصل، أو التشبث بما كان صحيحاً وأصبح بتغير الظروف خطأ، ويصبح ذلك إذن ضرباً من التطرف، فى التصورات الدينية، يتبعها تطرف فى الممارسات السلوكية المبنية عليها، إذ التطرف كما حددناه سلفاً، هو تجاوز ما حدده الدين من حدود. ويدخل فى ذلك ما يقتضى الاجتهاد تغييره من احكام بمقتضى تغاير الاحوال، إذ لكل حكم دينى مقصد شرعى، فإذا لم يكن الحكم مؤدياً الى مقصده، لسبب او لآخر من الأسباب، فإن التثبت به يدخل فى مدلول التطرف.

لقد رفض الخوارج قديماً التحكيم وقالوا كما هو معلوم: لا نحكم الرجال فى دين الله، وانغلقوا على هذا المفهوم، وحجروا على انفسهم النظر فى غيره مما فيه فسحة لأن يكون للتحكيم مجال كما وجهت إليه آيات قرآنية كقوله تعالى (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ

المخالفة، وفي تلك الرأي الواحد الذى الزموا به جزئيات نزلت منزلة الكليات، مثل تقصير الثياب وإطلاق اللحي، وفيها احكام اقتضتها ظروف معينة قبل قرون ولكنها استصحبت الى الوقت الراهن وقد زالت ظروفها، وذلك مثل مفاهيم دار الحرب واحكامها، ومعاملة الكفار بالكرهية والغلظة واضطرارهم الى اضيق الطريق، وأمثال ذلك كثير.

ومن هذا الاستبداد الفكري نشأت مجموعات من الاتباع ركبت مركب التطرف لتبنيها امثال تلك التصورات، ثم انتقلت فى تطرفها من التصور الى ممارسة العنف. ولعل اكثر ما يقع اليوم من عنق فى العالم باسم الاسلام انما هو ناشئ من قبل هذه الجماعات التى تربت فى كنف الاستبداد الفكري، فانهي بها الى التطرف فى التصور تبعه تطرف فى السلوك . إنه تطرف سببه الاستبداد بتشكيل الفكر تشكيلاً مغلقاً يؤدى الى التطرف، كما يؤدى الاستبداد ذاته الى تنفيس نفسى وتأويل دينى لا يفضيان إلا الى التطرف كما سلف بيانه وحين تنكشف هذه الاسباب فإن العلاج لا يمكن ان يكون ناجعاً إلا اذا كان علاجاً لتلك الأسباب.

دور الحرية الفكرية فى معالجة التطرف؛

إذا كان الإستبداد الفكري هو أحد العوامل الأساسية لنشأة التطرف الذى يبتدئ بالتطرف فى التصورات، ثم ينتهى احياناً كثيرة بالتطرف فى السلوك، وهو ما يثبت بالتحليل المنطقي، وثبت فى التجربة الواقعية، إذا كان كذلك فإن مقاومة التطرف ينبغى ان تتجه أول ما تتجه الى علاج السبب وهو الاستبداد الفكري وذلك

بَبَيِّنُهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيرًا) (النساء: ٣٥)، وحشروا انفسهم فى وجهة واحدة لا يبغون عنها حولا، وهو ما ادى بهم الى تكفير غيرهم من سائر المسلمين، وانتهى الامر الى ممارسة العنف ضد المجتمع بأكمله، حاكمه ومحكومة، وذلك مظهر من مظاهر الايلولة الى التطرف بالاستبداد الفكري.

وغير بعيد من ذلك ما انتهت إليه بعض الفرق الصوفية الغالية، اذ يسلم فيها الاتباع انفسهم الى شيوختهم، فيفكر لهم، ولا يريهم إلا ما يرى، ويمنع عليهم ابداء الرأي فيما يقول ويفعل، كما يمنع عليهم الاطلاع على ما هو مخالف لما يراه هو من آراء غيره، وينتهي هذا المسلك الاستبدادي بانحرافات كثيرة فى التصورات الدينية يقع فيها الشيوخ، ويلتزم بها الاتباع، وينطوون عليها، ويتعصبون لها، ولا يرون الحق إلا فيها، وقد تصل تلك التصورات من الانحراف الى الاعتقاد بأن تكاليف الدين تسقط عنهم لأنهم وصلوا الى اليقين الذى هو الغاية القصوى من كل تكليف^(١) وناهيك بذلك تطرفاً كان سببه الاستبداد الفكري.

وفى عصرنا الحاضر توجد مدارس عقيدة وفقية تربى اتباعها على ان الحق فى الدين واحد هو الذى تلقنهم إياه من التصورات والآراء، وأن كل ما عدا ذلك باطل ضال لا ينبغى الاطلاع عليه والنظر فيه بله تفحصه من أجل الاستفادة منه، فانغلقت عقولهم على الرأي الواحد، نتيجة الاستبداد عليها بحجر التوجه بالنظر الى غيرها، وتكون من تلك عدا أو ما يشبه العدا لكل المذاهب الاخرى

لا يكون إلا بتحرير الفكر من الاستبداد، فكيف يكون هذا التحرير؟ وكيف يكون ذلك عاملاً من عوامل مقاومة الاستبداد.

أ- الفكر والحرية الفكرية؛

نقصد بالفكر في هذا المقام، وكما نريد أن يكون مصطلحاً بديلاً في هذه الورقة، (المنهجية التي يجرى عليها عقل الانسان في بحثه عن الحقيقة النظرية والعلمية) ..ولهذا التحديد أصل في المدلول اللغوي، إذ جاء في معاجم اللغة ان الفكر هو إعمال خاطر في الشيء^(١١)، إشارة الى أنه حركة العقل في موضوعات المعرفة. كما أن ذلك المدلول هو الذي استقرت عليه الثقافة الاسلامية في استعمال هذا المصطلح، وهو ماضبطه الجرجاني في تعريفاته، إذ يقول: (الفكر ترتيب أمور معلومة للتأدي الى مجهول)^(١٢).

ومن البين ان هذا الترتيب ليس هو إلا حركة العقل في البحث عن الحقيقة.

وما هو شائع اليوم بين أهل النظر من اطلاق الفكر، الذي هو منهج العقل في البحث عن الحقيقة، على الافكار التي وقع التوصل اليها في ذلك البحث ليس إلا ناشئاً من إطلاق الملزوم على اللازم، كما هو من بعض عادات اللسان العربي، ولكنه إطلاق يحدث ارتباكاً في تحديد معنى هذا المصطلح واستعمالاته، وهو ما أن الأوان للرجوع به الى الاصل الذي استقرت عليه الثقافة الاسلامية مقصوداً به منهجية النظر العقلي لا حصيلة ذلك النظر من الافكار، كما سنعتمده في هذا المقام وكما اعتمدناه في مجمل بحثنا في هذا الشأن^(١٣).

ونقصد بالحرية الفكرية أن تكون حركة العقل من أجل الوصول الى الحقيقة حركة يتعامل فيها العقل بصفة مباشرة مع الموضوع المراد معرفة الحقيقة فيه تعاملاً تتفاعل فيه مكونات العقل الفطرية ومكسوباته اليقينية مع المعطيات الذاتية والابعاد الموضوعية للموضوع المراد درسه، بعيداً عن كل الموانع التي تمنع تلك الحركة العقلية من أن تنطلق في وجهتها الصحيحة، وتنحرف بها الى وجهة تقتضيها تلك الموانع، سواء كانت ممثلة في موانع داخلية مثل استبداد الأهواء والشهوات، وسطوة الاعراف والعادات، أو كانت موانع خارجية، مثل الارهاب الذي يتسلط به على العقول ذوو السلطان الديني أو السلطان السياسي على منهج فرعون في قوله: (يَا قَوْم لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ) (غافر: ٢٩)، أو الاغواء المتعدد المظاهر الذي يتسلط به عن النفوس المفسدون في الأرض على منهج إبليس في قوله: (قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْتُنْ أَخْرَجْنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ نَزِيِّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) (الإسراء: ٦٢).

وربما يكون من أهم ما نقصده بالتححرر الفكري في هذا المقام التححرر الفكري في مجال التربية والتعليم، وذلك بأن يترك للمتعلمين، صغارا أو كباراً، مجال فسيح لأن يعملوا النظر فيما يلقي اليهم من العلوم والمعارف ليتناولوها بالفهم ويتدبروها بالتعليل، ويخضعوها للمقارنة بما هو مخالف لها، وينخلوها

من حركة العقل فى البحث عن الحق، تتجلى فيها جملة من المواصفات التي يمكن ان تعتبر تجليات للحرية الفكرية، ومن خلال تلك التجليات يمكن ان يمارس العقل التفكير الحر، ويمكن ان يعتبر قد توفرت له الحرية الفكرية. ولعل أول تجليات الحرية الفكرية تتمثل ان يكون العقل فى حركته للبحث عن الحقيقة مفتوحة أمامه الخيارات المتعددة فى المسلك الذى يسلكه ليبلغ تلك الغاية، وذلك حسبما تقتضيه معطيات القضية مناط البحث، ليسلك فى بحثه المسلك الذى تقتضيه تلك المعطيات، دون ان يقع توجيهه الى مسلك معين لينتهي الى نتيجة معينة من قبل موجه خارج عنه وعن تلك المعطيات.

ان هذا التجلي من تجليات التحرر الفكري هو الذى اراده القرآن الكريم للانسان حينما وجهه لبحث عن حقيقة خالق الكون، فإنه لم يلزمه بمسلك معين او بنتيجة معينة، وإنما ارشده ليتعامل مع الموضوع بصفة مفتوحة ليصل الى ما يصل اليه بحسب ما يختاره من مسلك، ولذلك فقد جاء فى القرآن نهى عن ان يكره الانسان على الايمان بالله كما فى قوله تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تَكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (يونس: ٩٩)، وتوجيه الى البحث الفكري الحر كما جاء فى قوله تعالى فى نفس السياق: (قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ) (يونس: ١٠١)، وإذن فإن القرآن الكريم وجه الانسان الى النظر الحر المفتوح

بالنقد لنتبين لهم فيها مواطن القوة ومواطن الضعف، بحيث تكون حركة العقل فيها حرة من التوجيه المسبق لأن يقع الانتهاء فيها الى الاخذ بالرأى الواحد والرفض والإلغاء لكل ما سواه، وذلك فى حركة حوارية دائبة تقوم بين المتعلمين والمعلمين تفضى الى تكوين فكر سيد على نفسه، قادر على تبين المسالك المختلفة التى تؤدى الى الحقيقة بحسب ما تستبين به من حيث معطياتها الموضوعية وليس من حيث ما تريه جهة متسلطة من المربين والمعلمين لا ترى من الحقائق إلا ما تراه هى حقاً بقطع النظر عما تقتضيه المعطيات الموضوعية للمسائل المبحوث فيها.

ومن البين ان الحرية الفكرية تشمل أيضاً بصفة اساسية حرية التعبير على ما يتوصل اليه العقل من رأى، فليس من قيمة تذكر لرأى يبقى حبيس الذهن وان يكن العقل قد توصل إليه بحرية فى النظر جاء بميزان الحق رأياً صحيحاً، وإنما يكتسب الرأى الجزء الأكبر من قيمته بما يصير إليه من إفصاح عنه، وهو ما لا يكون إلا بحرية فى التعبير، فتكون إذن حرية التعبير جزءاً من حرية التفكير.

ب- تجليات الحرية الفكرية:

تفصيلاً لما اورثناه أنفاً فى شرح معنى الحرية الفكرية، فإن الحرية الفكرية لا يكون لها تحقق فعلى إلا إذا تحققت جملة من العناصر المكونة لها، وهي عناصر تتكون بالتربية التى تؤخذ بها العقول شيئاً فشيئاً ضمن العملية التربوية الشاملة التى يؤخذ بها المتعلمون لتستوي عقولهم بالتدرج على هيئة من الفكر، أي

سبيل الإيراد، ثم يجرى بينها المقارنة بالنظر المزدوج إليها جميعاً، ويضرب بعضها ببعض فيما تأسست عليه من المبررات، وما انبنت عليه من منطق داخلي تترايط فيه مقدماتها بنتائجها، وفي علاقتها بشواهد الواقع تصديقاً أو تكذيباً، لتنتهي هذه المقارنة بنقد ما هو مطروح لتبين الضعيف منه من القوي، والحق من الباطل، والصحيح من الخاطئ، فينتهي الاختيار بناء على تلك المقارنة وذلك النقد لما هو أقوى دليلاً وأصح مبنى.

وغير خفي أن المقارنة والنقد يتيحان للفكر حرية في الحركة بين الآراء المختلفة، حركة تأمل وتدبر وتمحيص، وذلك في غير انكفاء على واحد منها دون غيره، والتشبث به على علته، مما يمكن أن يعد قيداً فكرياً .. والمقارنة والنقد هما معني زائد على مجرد الإطلاع والفهم، وإن كانا مقدمة لهما لا يتمان إلا بهما، ولذلك حسبناه أحد تجليات الحرية الفكرية.

ومن بين أهم تجليات الحرية الفكرية أن يكون الفكر قادراً على النقد الذاتي، ممارساً له بالفعل، فحينما يصل الفكر إلى جملة من الآراء، وفق ما شرحناه سابقاً من مظاهر الحرية، ثم ينخلق بها على نفسه، على اعتبار أنها هي الحق المطلق، ملغياً من الحسابان إمكان مراجعتها وإعادة النظر فيها، فإنه بهذا يعتبر قيداً يقيد حريته في النظر، ولكن حينما يكون عنده من المرونة ما به يفتح الباب للنقد الذاتي بمراجعة ما حصل له من الآراء على أنه حق فإنه يكون أكثر حرية في تحري الحقيقة.

على احتمالات متعددة، وله أن يصل إلى النتيجة التي يرتضيها لنفسه، ولكن عليه أن يتحمل نتائجها، وذلك هو التحرر الفكري في أحد تجلياته.

ومن تلك التجليات للحرية الفكرية أن يتجه العقل في حركته الفكرية ليطالع على الآراء المخالفة للرأي الذي ينتهي إليه بتلقين أو بنظر حر، حتى لو حصل ذلك على سبيل الجزم، فإن الانكفاء على الرأي الواحد حينما تكون في المسألة آراء متعددة يعد ضرباً من القيد على حرية الفكر. ومن هذه الحرية أن يندفع الفكر ليقف على مجمل الآراء المتعلقة بالرأي الحاصل له موافقة كانت أو مخالفة، إذ ذلك من شأنه توسيع دائرة النظر، وإتاحة الفرصة لحركة فكرية أكثر انطلاقةً وأشمل إشرافاً، وذلك أحد مظاهر الحرية.

وقد انبنت الثقافة الإسلامية، بتوجيه قرآني، على هذا التجلي من تجليات الحرية الفكرية، وهو ما يبدو في أن المفكرين والعلماء المسلمين يدأبون في بحوثهم العلمية على إيراد الآراء المخالفة عند تقريرهم لأرائهم، فإذا لم يجدوها في الواقع افترضوها افتراضاً، وذلك فيما عرف في منهج التأليف بإيراد الاعتراضات الذي شعاره المشهور عبارة (فإن قلت قلنا)، أو (فإن قيل قلنا) أو ما هو في معناها، وذلك ما نعهده أحد التجليات الرائعة للتحرر الفكري في الثقافة الإسلامية.

ومن تلك التجليات أيضاً ما هو تكملة لما ذكرناه أنفاً، وهو المتمثل في أن تبسط أمام العقل الآراء المختلفة التي انتهى إليها جراء البحث أو على

من العلاج فى أغلبها عاملة على صد العوامل الخارجية التى تدفع الى التطرف وتغذيتها وتقويته.. فكيف يكون التحرر الفكرى علاجاً للتطرف.

أولاً: مواجهة التطرف بالرأى الصائب:

ذكرنا سابقاً أن التطرف هو فى مفهومه العام تجاوز ما حدده الدين من الحقائق والتشبهت بها على أنها هى الحق الذى لا حق غيره. والباحث عن الحق فى مسألة شرعية أو فى غيرها حينما يكون فكره موجهاً، بحكم الاستبداد، فإنه يكون عرضة للانتهاء الى الآراء الخاطئة، وذلك لأن المتسلط عليه الموجه لفكره يريد منه فى الغالب ان ينتهى الى نتيجة لا تقتضيها المعطيات الموضوعية للمسألة المبحوثة، وانما تقتضيها المعطيات الذاتية للمتسلط المستبد: مصلحة مادية أو تعصباً لرأى، أو انتصاراً لنحلة، أو ما شابه ذلك من الاسباب، وحينئذ فإن نهاية البحث سيوصل المستبد عليه فى الغالب الى رأي يكتنفه احتمال كبير بأن يكون خطأ متجاوزاً لتحديدات الدين بفعل تلك التوجيه الذاتى، ومن ثمة يتولد التطرف اذا ما وقع التشبهت بذلك الرأى على أنه هو الحق، وغالباً ما يكون ذلك هو المصير فى مثل هذه الاحوال. وهذا هو شأن فرعون حينما كان يوجه ملأه الى أن ينتهوا الى ما يراه هو من فكرة خاطئة ليحافظ على هيئته، ويصدهم عن ان يعملوا عقولهم فيما طرحه عليهم الرجل المؤمن عسى ان يصلوا بفكرهم الحر الى نتيجة تخالف مبتغاه، وتهتد سلطانة وهيئته، وهى الايمان بنبوة موسى عليه السلام . وذلك هو شأن

ولا يعنى النقد الذاتى ان يقع الفكر فى وسواس الشك الذى لا تثبت معه حقيقة فى الذهن، وانما يعنى أنه إذا ما جدت معطيات جديدة تتعلق بما حصله الفكر من الافكار والآراء والافهام، وذلك فى مجال ما هو ظنى على وجه الخصوص، فإن الحرية تقتضى أن يعاد النظر فيها على ضوء تلك المعطيات عسى ان تتبين وجوه اخرى للحقيقة تجبر بها أخطاء قد تكون تسربت فى النظر السابق، ولعل هذا هو ما تعنيه القاعدة الذهبية القائلة: ان رأبي صواب يحتمل الخطأ، والرأى المخالف لي خطأ يحتمل الصواب، وهى القاعدة التى على أساسها عدل الامام الشافعى كثيراً من اجتهاداته الفقهية التى توصل اليها فى العراق لما ذهب إلى مصر وتبينت له معطيات أخرى اقتضت المراجعة والتعديل، وقد فعل كثير غيره ما فعل، حتى كان النقد الذاتى سمة بارزة فى الثقافة الاسلامية، وذلك احد تجليات الحرية الفكرية .

ج - الحرية الفكرية علاجاً للتطرف:

إذا كان الاستبداد الفكرى، كما شرحناه آنفاً، يعد احد أكبر الاسباب فى توليد التطرف ، تصوراً وسلوكاً، فإن نقيضه الذى هو التحرر الفكرى بالتجليات التى سبق شرحها سيكون لا محالة هو أحد أهم الاسباب التى تحول دون نشوء الاستعداد للتطرف وتعمل على مقاومته إذا نشأ. ولعل هذا العلاج هو الاكثر فاعلية فى هذا الشأن من كل علاج غيره، وذلك لأنه علاج يوجه الى المحاضن الداخلية التى تنشأ فيها بذور التطرف، وهى محاضن آليات التفكير فى ذات الانسان، فى حين تكون الانواع الاخرى

شيوخ الصوفية الغالية الذين ينهون اتباعهم عن ان يستمعوا الى اقوال غير اقوالهم بغية ان تستحكم فيهم التبعية لهم، فينجر عن تلك منافع معنوية من جاه وحظوة أو منافع مادية من أموال وخدمات. وهو أيضاً شأن شريحة تدعى لنفسها اسم السلفية، وفيها يلزم الشيوخ اتباعهم بأن لا يأخذوا العلم إلا منهم دون غيرهم إذ الحق مقتصر عليهم، أما ما عند غيرهم فهو الضلال. ونلك هو شأن كل المستبدين، فإنهم يسدون امام اتباعهم مسالك الفكر ليمتعض لمسلك واحد هو مسلک ما يرونه هم. وإذا دخل العامل الذاتي في الالتزام بما يراه المستبد من رأي فإن ذلك كثيراً ما يكون سبباً في خطأ نلك الرأي وحينئذ فإن الانغلاق عليه والتعصب له يكون باباً من ابواب التطرف.

ولكن حينما يكون أمام الناظر الباحث فرصة لحركة فكرية حرة يتجه بها الى النظر في معطيات متعددة، وآراء مختلفة، ماتلقاه من شيخه وما تلقاه من غيره، في منهج من المقارنة والنقد، فإنه يكون فيما يتوصل إليه من رأي أقرب ما يمكن من الحق، إذ ضرب الرأي بالرأي والدليل بالدليل والحجة من شأنه ان يمتحن الآراء المختلفة، وينخلها نخلًا، فيتبين الضعيف منها من القوي، والصحيح من السقيم، فينتهي الفكر إذن من هذه الحركة الحرة الى الاخذ بما هو اصح واقوى، ويبتعد عما يوقعه في التطرف من الآراء الغريبة والشاذة والضعيفة.

ولهذا السبب جاء الدين في أول ماجاء به من القواعد المنهجية يحرر العقول من الاستبداد

الفكري الذي يمارسه على الناس اصحاب الجاه الاجتماعي باسم التقاليد أو الرهبان والكهنة باسم الدين، لينتهوا جراء هذا الاستبداد الى تطرف في التشبث بالمعهود والرفض لكل ما سواه، وهو شأن الذين عارضوا الدعوة الاسلامية على أول عهدا معارضة بلغ فيها التطرف الى درجة العنف كما هو معلوم، كما هو شأن كل من يكون على موقفهم ممن يأتي بعدهم، ولذلك جاء القرآن الكريم يصيح في الناس أن يحرروا عقولهم بتحطيم نير الاستبداد الفكري المسلط عليهم، ونلك في مثل قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ - قَالَ أُولُو جُنُتِكُمْ بَاهِدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) (الزخرف: ٢٣ - ٢٤)، وقوله تعالى: (اتَّخِذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَإِلَهِ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (التوبة: ٣١)، ففي كل من هذا وذاك دفع الى التحرر الفكري من سطوة المستبدين من اجل الوصول الى الحقيقة كما يتبينها الفكر الحر، وكما تكون باباً للاعتدال وتحول دون التطرف.

وقد كان هذا المسلك يدين الفحول من العلماء المسلمين، أذ تراهم في مؤلفاتهم يبسطون الآراء المختلفة الى حد التناقض، والاجتهادات المتوافقة والمتعارضة على بساط النظر الحر، ويتناولونها بالتمحيص والامتحان والنقد، ليستبين لهم الرأي الاصبوب فيتخذوه رأياً

معان أخرى متعددة ولكنها تلتقى جميعاً عند معنى التقبل الذى نطرحه فى هذا الصدد.

ومن تلك المعاني التى يتضمنها التقبل المقصود فى هذا الصدد، والتى تسهم بنصيب وافر فى الحيلولة دون التطرف ما نسميه بالتقبل النفسى، وهو ما يعنى ان لا يعتبر الباحث عن الحقيقة والمتوصل فيها الى رأى أن من توصل فيها الى رأى مخالف هو عدو له، وذلك مهما بلغت درجة ايمانه برأيه من يقين، فتتكشف النفس دونه، ويستبعد اذن من دائرة التعامل الانساني فضلاً عن التعامل المعرفي العلمي، وإنما يعتبر المخالف فى الرأى هو باحث عن الحقيقة اصابها او اخطأها، وهو لذلك جدير بأن يجد له مكاناً فى النفس يسمح بالتعاطى معه فى خصوص رأيه المخالف للحوار فى شأنه بالحجة بقطع النظر عما تنتهى إليه تلك الحجة من نتيجة موافقة او مخالفة.

ومن معاني التقبل (للاخر) الاعتراف له بحق الوجود بقطع النظر عن تقبله نفسياً أو عدم تقبله، وذلك بأن يستقر فى الذهن ان الرأى المخالف وصاحبه من حقه ان يكون موجوداً، وان يعبر عن نفسه عرضاً وشرحاً وانتصاراً، دون اي تضيق أو حجر، وذلك بنفس القدر الذى يكون فيه الحق فى الوجود لمخالفه، وان لا يكون مقياس الصواب والخطأ هو المقياس المحدد للأحقية فى الوجود، وجوداً وعدمًا. وإذا كانت ثمة حالات خاصة يمكن ان يسحب فيها حق الوجود عن رأى من الآراء أو مخالف من المخالفين لهذا السبب أو ذاك من الأسباب المحددة فى هذا الشأن، فإن المبدأ العام هو

لهم. ويمكن بالاحصاء ان نتبين كيف ان علماء التفسير والفقه والعقيدة وغيرها يكونون أثقب رأياً وأصح اجتهاداً واعدل مذهباً كلما كانوا اكثر حرية فكرية فى التوجه الى العلوم والمعارف فى اوسع دوائرها، واكثر ايراداً ونقداً للآراء المختلفة التى تتضمنها، وقد كانت تلك هي الصفة الغالبة على العلماء المسلمين، وكيف أن الاقرب الى التطرف منهم هم الاضيق دائرة فى تناولهم للعلوم والمعارف وللآراء المختلفة فيها.

ثانياً: مواجهة التطرف بتقبل المخالف:

اسلفنا القول: إن الاستبداد، وخاصة منه ما كان فكراً، يقضى الى تطرف متمثل فى الرفض المبدئى للرأى المخالف، وذلك باعتبار ما يحدثه الاستبداد فى النفوس من يقين بأن الحقيقة تنحصر فيما يريد المستبد من رأى، وهذا الرفض للمخالف كثيراً ما يتطور من تطرف فى درجاته الأولى لينتهى الى درجاته الاخيرة فيصبح تطرفاً عنيفاً، وذلك حينما تصل درجة الرفض الى التفكير أو حتى إلى ما هو دون ذلك من التضليل والتفسيق. وحرية التفكير هي احدى المسالك المهمة التى تقضى الى تقبل المخالف من الرأى والمخالف من اصحاب الرأى، وهي بالتالى مسلك مهم من المسالك التى تحول دون توليد التطرف فى النفوس والعقول والسلوك وليس المقصود بتقبل (الأخر) المختلف تبني تلك المخالف من الرأى والاخذ به فى مقابل التنازل عما يراه المتقبل من رأى لمجرد التنزل، أو لأسباب غير علمية، فذلك امر غير مطروح فى هذا الشأن، وإنما المقصود به

بالرغم من الايمان بعكس ذلك فى الامرين، ولكن تأنيساً نفسياً للمخالف . وفيه توجيه الى تقبل حق الوجود والتعبير للمخالف، وذلك ما يدل عليه هذا الحوار الذى يسمع فيه عرض هذا المخالف باهتمام والتعاطي معه بمحاجة لطيفة مونس . وفى هذا التوجيه ايماء ايضاً الى تقبل الاستفادة من رأي المخالف اذا تبين انه ينطوى على وجه من الحق وذلك ما يوحي به تعميم امكان الهدي ليشمل المخالف ايضاً، فإذا تبين ان هذا المخالف قد يكون فى رأيه شئ من الهدي فإنه يكون إذن مقبلاً، فهو إذن منهج يدعو الى تقبل المخالف للرأى^(١٤)

إن هذا التقبل (للآخر) بمستوياته المختلفة، الذى هو عاصم من عواصم التطرف لا يمكن ان يحصل إلا باتحرر الفكري، ولا يمكن ان يغيب إلا بالاستبداد، ذلك لأن الفكر إذا كان موجهاً فى مسلك معين لينتهي الى رأي محدد سلفاً بتوجيه المستبدين، وليرى فقط ما هم يرون، فإن المستقر على هذه الوجهة، والمنتهى الى هذا الرأي يحصل عنده شعور نفسى واقتناع عقلى بأن الحق منحصر فيما انتهى إليه، وأن ما سواه من رأي باطل ، وإذن فإنه ستنقبض نفسه دونه ، وسيعتبر ان هذا الباطل لا حق له فى الوجود بله أن يوجه نظره اليه ليمتحنه ويبحث عن فائدة فيه.

ولكن حينما يتجه العقل بالنظر الحر الى جميع مظان الحقيقة ويبسط على محك البحث جميع الآراء كما شرحناه، ما استقر فى الذهن بادئ الرأي وما هو موافق له وما هو مخالف، فإن ذلك سيحدث فى الناظر انفساحاً نفسياً

تقبل (الأخر) المخالف تقبل اعتراف بحق وجوده والتعبير عن نفسه.

وربما يكتمل معنى تقبل (الأخر) المخالف بالاستعداد للاستفادة منه، مهما كانت درجة مخالفته، وذلك إذا ما تبين بالامتحان أن فيه ما يفيد، وتبلغ هذه الدرجة من التقبل ذروتها بالسعى العلمى الى الرأي المخالف قصد فحصه وتحليله وتبين اسبابه وحججه ومبانيه ومآلاته، ودرسه درساً موضوعياً مستفيضاً عسى ان يتبين فيه ملمح حق فيؤخذ به مهما استقر فى بادئ الرأي من أنه رأى خطأ، فذلك الاستعداد وهذا المسعى العلمى يحلان المخالف فى دائرة الوعي النفسى والمعرفى موقعاً من التقبل متقدماً، وهو ما لا يتحقق بحال لو عومل هذا المخالف باليأس من ان تكون فيه اية فائدة، ومن ان يكون منطوياً على اي حق.

وقد ضرب لنا القرآن الكريم مثلاً منهجياً رائعاً فى هذا التعامل مع (الأخر) المخالف تعاملاً يقوم على التقبل فى مستوياته المختلفة التى ذكرناها، وذلك ما ورد على سبيل المثال فى قوله تعالى مرشداً نبيه وجميع المسلمين من ورائه الى تقبل المخالفين من أصحاب الديانات الاخرى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ - قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (سبأ: ٢٤-٢٥) وفى هذا الارشاد الالهى المنهجي توجيه الى التقبل النفسى للمخالف، وهو ما يتمثل فى تعميم امكان الهدي والضلال على الفريقين، وبنسبة الاجرام الي النفس ونسبة مجرد العمل الى المخالف، وذلك

شيئاً من المذاهب الأخرى فى النطاق الإسلامى، أما العلوم والمعارف الإنسانية العامة فإنها فى هذه المدارس منهي عنها ان تكون معروضة على الطلاب للدرس، إذ هي تشوش الأذهان وتفسد المعتقدات الصحيحة.

ونتيجة لهذا الضرب من الاستبداد الفكرى تخرج من هذه المدارس جماعات تتصف بالتطرف، إن على درجة أو أخرى من درجاته، وربما تكون جماعة طالبان مثلاً لهذا الانموذج الذى شرحناه، ولا يفوت اللبيب المتابع للساحة الإسلامية ان يرى امثلة أخرى لهذا الانموذج تتطابق معه او تشابهه، علماً بأن مجال هذا التمثيل لا يتعلق بصدق النوايا والاخلاص فيها، أو بقوة الايمان وصلاح السمات فى السلوك فقد يكون ذلك حاصلًا مع حصول التطرف.

وفى مقابل ذلك توجد جماعات اسلامية أخرى فى العالم الإسلامى تخرجت من مؤسسات علمية ودعوية بمعارف وعلوم اسلامية غير مقتصرة على مذهب معين، وانما هي قائمة على المنهج المقارن بين المذاهب ، فكانت تطرح فيها كل الآراء للدرس والمقارنة والنقد، كما تخرجت أيضاً من تلك المؤسسات أو استكملت من غيرها بمعارف وعلوم انسانية عامة مذاهب وفلسفات قديمة وحديثة، واخذتها جميعاً بمنهج حوارى نقدي، فكان المنهج العام الذى تخرجت به هو منهج التحرر الفكرى المنفتح على الاحتمالات المتعددة فى البحث عن الحقيقة، فكانت اذن متصفة بقدر كبير من الاعتدال والوسطية فى الفكر وفى السلوك معاً.

يسع جميع الآراء بما فيها المتناقض منها، وهذا التقبل النفسى فيه اعتراف ضماني بأن جميع الآراء، بما فيها المخالفة لها حق الوجود والاحتجاج والمدافعة وإلا ما وضعت على بساط البحث ، وبالمقارنة والامتحان والنقد سيكتشف أن الآراء المخالفة قد تنطوى احياناً على بعض الحق فيستفيد منه، اذ هو باحث عن الحق بنظر حر، فتكتمل اذن حلقات التقبل، كما شرحناها، وذلك ما يحول دون توليد التطرف الذى من أهم شعاراته : رفض المخالف، والغاؤه، ونفى حقه فى الوجود.

ولو تأملنا ما يعمور به واقع المسلمين اليوم من جماعات طابعها العام التطرف بدرجاته المختلفة، وقارناها بجماعات أخرى طابعها العام الاعتدال والوسطية لرأينا مصداقاً بيّناً لما قررناه من ان التحرر الفكرى هو عامل الاعتدال ، وان الاستبداد الفكرى هو عامل التطرف، وهو ما يصدق أيضاً على الفرق والجماعات القديمة فى تاريخ الثقافة الإسلامية، ولانتهينا الى الحكم بأنه كلما اشتد ضغط الاستبداد الفكرى اتسعت مخرجاته من المتطرفين، وعلى العكس من ذلك كلما انفسحت الحرية الفكرية كانت مخرجاتها اكثر تحقّقاً بالوسطية والاعتدال.

فمن الجماعات الإسلامية الموجودة اليوم جماعات تخرجت فى تعليمها وتربيتها من مدارس تقليدية مغلقة فى التقليدية، فى بلاد مختلفة من العالم الإسلامى، وهي تلك المدارس التى تقتصر فى برامجها على المذهب الواحد فى العقيدة وفى الفقه تقدمه لروادها بطريقة تلقينية خالية من الحوار، وتكاد لاتقدم معه

خلاصة:

يتبين مما تقدم ان الاستبداد باب فسيح يفضي الى التطرف ، وان الاستبداد الفكري هو احد اشد انواع الاستبداد التي تفضي اليه اذ ان هذا الاستبداد يقتضى ان يتشكل العقل فى طريقة تفكيره على هيئة ينتهي فيها الى الاخذ بالرأى الواحد المحدد سلفاً من قبل المستبد لغرض او لآخر من الاغراض، واعتباره الحق الذى لا حق غيره.

ومواجهة هذا التطرف الذى يتولد من الاستبداد الفكري لا تكون إلا بتحرير الفكر فى بحثه عن الحقيقة من التوجيه المستبد، وذلك بتربيته على ان يتشكل بحيث يتعامل مع مظان الحقيقة بحركة حرة غير موجهة إلا بما تقتضيه المعطيات الموضوعية لمناطق البحث ، وحينئذ فإنه سوف ينتهي الى تقبل (الأخر) المخالف نفسياً ومعرفياً، معترفاً بحقه فى الوجود، ومتعاملاً معه بالحوار من اجل الوصول الى الحقيقة والاستفادة منها، وذلك عنوان الاعتدال والوسطية، وذلك بدل الرفض والالغاء والنفى الناشئة من الاستبداد والتي هي عنوان الغلو والتطرف.

والله ولي التوفيق.

وليس من قبيل الصدفة ان يكون اكثر الموصوفين بالتطرف فى المشهد الاسلامي الراهن هم أولئك الذين ذكرناهم آنفاً، وأولئك الذين تخرجوا من المؤسسات التعليمية ذات الاختصاص العلمى الطبيعى البحت، ثم لقنوا العلم الشرعى أو شيئاً منه تلقيناً سريعاً صغير مختص فى حلقات الدعوة العامة فلم يقفوا من الآراء والاجتهادات الا على الرأى الواحد والاجتهاد الواحد، قال امرهم الى ان مرس عليهم ضرب من الاستبداد الفكرى ، فكانت النتيجة ان انخرطوا فى دائرة التطرف، ولو استعرضنا بعض الاسماء البارزة الموصوفة بالتطرف لوجدنا كثيراً منهم ينتمون الى هذا الصنف من المتخرجين.

واما أولئك الذين تخرجوا من المؤسسات العلمية الاسلامية العريقة القائمة مناهجها على المقارنة والنقد والمطعمة بالعلوم والمذاهب الانسانية العامة، وأولئك الذين تخرجوا من مؤسسات التعليمية العامة الحديثة بمناهجها القائمة على الحوار والانفتاح على مختلف الآراء ، وتيسر لهم تحصيل علم شرعى متين على أساس منهجي حوارى مقارن، فإننا نادراً مانجد منهم من انخرط فى دائرة التطرف وانما هم الذين اسسوا للاعتدال او انخرطوا فيه، ويسعنا ان نذكر فى هذا الشأن أبا الاعلى المودودى وحسن البنا ومن سار على نهجهما. وما هذا وذاك فيما نقدر إلا بسبب الاستبداد الفكري فى الحالة الاولى ، والتحرر الفكري فى الحالة الثانية.

هوامش :

من الكواكبي إلا أننا نقدر أنه في موقفه من الاستبداد

السياسي قد وقع في آراء فيها قدر من الغلو.

(٩) ابن القيم، إعلام الموقعين (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م) ٣ / ١١، حيث عقد فصلاً (شهيراً) بعنوان: (فصل في تغير الفتوي واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والاحوال والنيات والعوائد).

(١٠) راجع في ذلك: عبد الرحمن بدوي، مذاهب الاسلاميين (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م) ص ٧٨٩.

(١١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: فكر.

(١٢) الجرجاني، التعريفات (بيروت: مكتبة لبنان، مصورة عن طبعة فلوجل، ١٩٨٥م) ص ١٧٦، وراجع أيضاً: ابن سينا، الاشارات والتنبيهات، تحقيق: سليمان نيا (القاهرة: ط الحلبي، ١٩٤٧م) ١ / ١٢٣ والرازي، المحصل (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٤م) ص ٦٨، وراجع كتابنا: دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين (فريجينا: المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ١٩٩٢م) ص ٢٧ وما بعدها.

(١٣) راجع علي سبيل المثال كتابنا: دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، ص ٢٧ وما بعدها.

(١٤) راجع جملة من هذه المعاني في: الرازي، التفسير الكبير (بيروت: دار الفكر، ١٩٢٥م) ١٣ / ٢٥٨.

(x) الامين العام المساعد للمجلس الاوروبي للافتاء والبحوث.. (تونس).

(١) نكره ابن منظور في اللسان: مادة: طرف، وقد اورد ابن حجر روايات مختلفة للحديث ليس من بينها لفظ (يتطرف)، وإنما منها: : ألفاظ: يستتر، يستتره، يستبري، يتوقى: راجع: ابن حجر، فتح الباري (القاهرة: دار الريان للتراث، ١٩٨٦م) ١ / ٦٨٠.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ت) ٦ / ٥١.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنطعون.

(٤) راجع ابن منظور، لسان العرب: مادة : نطع، عمق.

(٥) أخرجه البيهقي في سننه: كتاب الصلاة، باب القصد في العبادة. والمنبت هو الذي يغالي في حث دابته على السير حتى يرهقها فلا تعود قادرة عليه، وهي استعارة لمن يغالي في التدين فإنه لا تحصل له فائدة، كالمنبت الذي لا تحصل له فائدة، بل يبؤد بتعطيل دابته وعدم بلوغ مقصده، وأخرج الإمام أحمد، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق).

(٦) ابن منظور، لسان العرب: مادة: بدد.

(٧) إمام الحرمين الجويني، الغيائي (قطر: الشؤون الدينية، ١٤٠٠هـ) ٣١٧، وراجع في ذلك كتابنا: مقاربات في قراءة التراث (بيروت: دار البدائل، ٢٠٠١م) ص ٨٣ وما بعدها.

(٨) عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد (الجزائر: موقع للنشر، ١٩٨٨م) ص ٣٦، ونحن إذ ننزه امام الحرمين الجويني عن ان يكون مشمولاً بهذا التقرير